الحلقة (١٥)

أشرت في نهاية الحلقة السابقة إلى أنني سأذكر **بعض الآثار المترتبة على هذه السنن**.

فبالنسبة للإيمان فنجد أن آثاره عظيمة ولا يمكن استقصائها ولكن نشير إلى بعض منها:

١- أن الإيمان هو الرابط بين المسلمين جميعا،

فهو يقيم علاقتهم على **الأخوة في الله** قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}، فاجتمعوا على الأخوة في الله الناس، قد يجتمعون على الأخوة في المصالح، الأخوة في الرحم، أو الأخوة في جانب الوطن، الأخوة في الجنس، أو الأخوة في إقليم، أو غيرها، لكن هذه الأخوة محدودة ليست باطلة، لا، لكنها أخوة محدودة بحدها، فأخوة النسب معتبرة شرعا، أن فلان أخو فلان من أبيه وأمه، لكن ليست هي الحاكمة على كل التصرفات، وليست هي المؤثرة في كل التصرفات، تؤثر في بعض الأشياء ولا تؤثر في كل شيء، لكن الأخوة الإيمانية تسري كما يسري الإيمان، وعلى أساسها أقام النبي صلى الله عليه وسلم مجتمع المدينة حينما آخى بين المهاجرين والأنصار وليس فقط تكفلا ماديا ولكن كان هناك رباطا إيمانيا عظيما حقق شيئا آخر، فالمهاجرين طالت صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ١٣ عاما،

٢- كذلك منها **التكافل والتكامل** بين المسلمين والمؤمنين (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر**) لأنهم جسد واحد، الجسد إذا تأذى شيء منه أحس الجسد بالألم بسبب هذا الرباط، فالجهاز العصبي المتكامل في الإنسان الذي يحدث أو يشعر الإنسان منه خلاله بالألم ..

٣- تصويب المجتمع بشكل دائم، **والمحافظة على ثقافته أن تُحل وهو مبدأ النصيحة** كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) ..

هذا النصح معناه الصدق مع الله، الصدق مع رسوله، والصدق مع الأئمة، والصدق مع العامة،هذا من المبادئ العظيمة مبدأ النقد الاجتماعي الذي يستهدف وصول الحقيقة ولا يستهدف الإيذاء ولا الإسقاط ولا الإفساد ولا التنافس، إنما يقصد الكمال والصواب والرقي والمحافظة على ثقافة الكل وعلى دين الكل ..

٣-مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو واجب على كل مسلم بحسب قدرته (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**) والإنسان إما أن يكون المنكر في دائرة سلطانه فبالتالي يغير بيده، أو أذن له السلطان أن يغير بيده فيغير بيده، وليس ذلك لأي إنسان، ولو كان كذلك لربما دخل الحياة فساد عظيم، فقد يستغل الإنسان هذه المبادئ للإضرار بالآخرين، فلابد أن يكون منضبطا ومنظما لاسيما التدخل باليد،

هكذا إذن إن كان في دائرة سلطانه كان التغير باليد سواء كان سلطانه في بيته أو دائرته أو ما كان في دولته، أو كان ليس في دائرة سلطانه لكنه يستطيع تغير المنكر بلسانه، فإذا لم يكن في سلطانه ولم يكن لديه قدره من القول لمانع من الموانع، أو ما يترتب على ذلك من المفاسد الكبار بالنسبة إلى التغيير، فيلجأ إلى كره ذلك الفعل المخالف لما يحبه الله ويرضاه،

فإذن هذه المبادئ العظيمة: **الأخوة التكافل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التناصح** مبادئ عظيمة تتأسس على الإيمان بالله، فلولم يكن المجتمع مؤمنا لما حصلت فيه هذه المبادئ المرتبطة بإيمانه.

مراعاة الفطرة من آثارها :الإشباع، إشباع حاجات الناس بحيث لا يدخل في حرج أو ضيق أو ألم أو شدة، وإنما إشباع حاجاته ورفع البؤس والأذى عنه، وتحقيق التوازن في حياته، كل ذلك من آثار الفطرة.

وأما **مراعاة السنن فلها آثار عظيمة** منها:

1. **تقدم الحياة.**
2. **استقامة الحلول الموضوعة للمجتمع حينما تكون مؤسسة على السنن.**
3. **حصول الفاعلية والقدرة على استغلال ما أعطي هذا المجتمع، سواء من قدرة ذاتية أو من قدرات مواد خام،** أو غيرها، فاستعمال السنن أو الارتباط وإقامة الحياة على السنن، تؤدي إلى الفاعلية والإنتاجية، وظهور الثمرات بوجه صحيح وبوجه فعال.

من ثمار مراعاة الناس : **تدفع الضر عن الناس، وتدفع التفاوت فيما بينهم أو بغي بعضهم على بعض،** فلو فرضنا أن المصالح لم تراعَ على وجه صحيح وعلى وجه تراكبي، لظهر في حياة الناس الاختلال وعدم التوازن، لأن تقديم ما ليس ضروري على الضروري يظهر في المجتمع الهدر فلو أن إنسانا مثلا مريض بحاجة إلى العلاج والذهاب إلى المستشفى لكي يدفع عن نفسه شدة المرض، فنجده مثلا يصرف نقوده التي أولى بها علاجه يصرفها في شراء الحلوى والتفكه ونحو ذلك هذا اضطراب، قدم غير الضروري على الضروري، فيحدث في حياته اضطراب يفوت اللازم والمهم ويعجل بالشيء الغير مهم الذي يمكنه الاستغناء عنه ..

من ثمار مراعاة الانسانية : عندما يراعى أساس الإنسانية **فإن السعادة والجمال تكون طابع ذلك المجتمع، وانتظام أموره واندفاع الشر عنه، لو فرضنا المجتمع فيه العنصرية ستخرج أثر هذه العنصرية مُرة على هذا المجتمع، إما في التفاوت فيما بين أفراده وفئاته ..**

في حين أن مراعاة أساس الإنسانية **تنتج إيصال الحق لذويه،** وكذلك **العدل فيما بينهم، وقيام كل إنسان بواجبه ومراعاته، هذه من آثار هذا الأساس العظيم.**

فبقدر ما يكون المجتمع المسلم مطبقا وعاملا تظهر هذه الخصائص والصفات فيه، وبقدر ما يكون

منحرفا يظهر ضده.

فمن خصائصه أولا: الالتزام بالدين الإسلامي أو بالشرع

وطبعا هذا الالتزام كما جاء الحديث عن النبي صل الله عليه وسلم لم يكن على درجة واحدة، وإنما سيتفاوت المجتمع المسلم كما قال عليه السلام (بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ) وقال عليه السلام (إن لهذا الدين إقبالا وإدبارا) وغير ذلك وقال في الحديث الآخر الذي حذر فيه المسلمين من تهافت الأمم عليهم وطمعهم فيهم قال (توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها) الصحابة ظنوا أن القضية قضية عدد، سيكونون قليلين وبالتالي يطمع الناس فيهم، فقالوا أمن قلة بنا يا رسول الله يومئذ؟

قال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ينزع الله منكم المهابة من صدور عدوكم ويلقي في قلوبكم الوهن) قالوا فما الوهن يا رسول الله؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) ..

فحينما نقول خصائص المجتمع المسلم نقصد حينما يكون ملتزما ومنضبطا ومتقيا لله، وليس في كل حالاته،

فمنها كما قلنا أن من أبرز سماته:

١- أنه مجتمع ملتزم بشرع الله مستسلم لدين الله عامل به.

٢- ومن صفاته انه مجتمع متسامح والتسامح فيما بينهم (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتضى) وكذلك التسامح بعدم الإضرار بالآخرين أو الحرص على الإضرار بهم، فمعلوم أن الشرع أدب المسلمين بآدابه، وأذن لهم في رد اعتداء من اعتدى عليهم، وأمرهم بنشر الدين بإحسان، ولا يكون فيه اعتداء أو تجاوز، إنما بإحسان، فهذا التسامح نتيجة الإحسان، ينعكس على كل تصرفات المجتمع أو تصرفات أفراده.

٣- متناصح، وقد أشرت إلى النصيحة من قبل.

٤- متراحم كذلك (مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم).

٥-كما أشرت أيضا مجتمع جاد، بمعنى مسئول بأن يقدر المسئولية، ولا يكون فيه مجال للوهن أو التقاعس عن أداء المسئولية، ولذلك من كان بهذه الحال كشف الله وضعهم من المنافقين الذين كانوا في وقت رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين منهم من يطلب الإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا}

فهي تأمر المسلم أن يكون مسئولا مهما كان موقعه في المجتمع، الرجل والمرأة والخادم كلهم لابد أن يكونوا على مستوى المسئولية (كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته).

٦-كذلك هو مجتمع آمن لأن المؤمنين يأمن بعضهم بعضا، ومن لا يؤمن فقد جاء التحذير في الحديث (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قالوا من يا رسول الله قال من لا يأمن جاره بوائقه)، فالإيمان أمان لأن منطلق المسلم في تعامله مع الآخرين عهد الله وشرطه، بينه وبين إخوانه المسلمين عهد الله وشرطه، فعهد الله عليه ألا يؤذي مسلما ألا يخونه ألا يغدر به ألا يغشه ألا يفعل ما يضر إخوانه المسلمين.

٧-كذلك تسوده المساواة: ما المقصود بها؟ المساواة: مستوى القيام بالواجبات وأداء الحقوق، بمعنى لا يكون إنسانا لا تفرض عليه واجبات، كلهم على حد سواء في الواجبات، وكلهم عليه حقوق، تتفاوت ربما الواجبات، لكن المقصود أن كل من عليه واجب لابد أن يؤديه، وكل من له حق لابد أن يأخذه وهكذا.

٨- الأمر الآخر الطاعة فيه لأولي أمره، لماذا؟ سنتكلم عن ذلك إن شاء الله.